مجلة العلوم وافاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

إشكالات لغوية في البيان الحواري القرآني: نماذج من سورة الأعراف

Linguistic problems in the Qur'anic dialogue statement, examples of sura al-Aaraf

NORDDINE SAFIR نورالدين سفير

https://orcid.org/ of researcher

جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، (المغرب)،

norddinesafir@gmail.com

تاريخ ارسال المقال:2023/04/27	تاريخ القبول:2023/05./30	تاريخ النشر: 2023/06./01

*نورالدين سفير **norddine safir**

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تتبع خصائص البيان الحواري القرآني الذي ورد في سورة الأعراف خارقا للمألوف والمعهود في النظم باعتباره وجها من الوجوه المعجزة في كتاب الله والتي أشار إليها بعض المفسرين بمشكل القرآن، فحاولنا تتبع بعض الظواهر البلاغية البيانية في الحوارات الواردة في السورة وتحليلها محاولين الكشف عما يمكن أن يشكل الفهم عند المتلقي، ثم بعد ذلك أفردنا قسما خاصا بمقاربة هذا الذي يمكن أن يكون إشكالا لغويا بلاغيا، بذكر أهم أساسيات البيان الحواري في تحقيق التواصل بين المتحاورين مع فوائد عديدة وعبر كثيرة لابد من تأملها والعمل بها أثناء حواراتنا وضرورة العلم بلسان العرب وعاداتهم في طرق القول والبيان لفهم البيان الحواري للقرآن الكريم ومساقات الكلام ضرورية لإزالة إشكالات الفهم والتأويل وكذلك التسلح بعلوم القرآن واللغة لمعرفة مقاصد الخطاب في تجنب الوقوع في الإشكال.

الكلمات المفتاحية: إشكال; بيان ; حواري ; إعجاز

Abstract :

This article aims to trace the characteristics of the Quranic dialogical statement that is mentioned in Surah Al-Araf as a miraculous face in the book of Allah, which some interpreters have referred to as the problem of the Qur'an, so we tried to trace some rhetorical phenomena in the dialogues contained in the surah and analyze them in an attempt to reveal what can constitute understanding for the recipient, and then we have allocated a special section to approach this, which can be a rhetorical linguistic problem, by mentioning the most important basics of the dialogical statement in achieving communication between interlocutors with the benefits of there are many and many lessons that must be considered and worked on during our dialogues and the need to know the Arabic language and their customs in the ways of saying and statement To understand the dialogue statement of the Holy Qur'an and the courses of speech are necessary to remove the problems of understanding and interpretation, as well as arming with the sciences of the Qur'an and language to know the purposes of the speech in order to avoid falling into trouble.

Keywords: Problem; Statement ; Dialogue; A miracle.

مقدّمة:

إن القرآن الكريم معجزة خالدة، خصها الله بالحفظ وضمن لها الاستمرار على مر العصور والأزمان، وجعلها معجزة عقلية لا مادية بها تحدى الأقوام، معجزة ذات ألفاظ وتراكيب ومعان متفردة هي وجه بيانها وإعجازها، هذا الإعجاز الذي حرك العلماء، وجعلهم يبحثون فيه ويحومون حوله في كل العصور ومن كل الأقطار، فيرتشفون بعض فرائده من جواهره، ويأخذون القليل أو الكثير من توجيهاته، لذلك ظل ولا يزال محط تدبر وتأمل لا يفنى، وغاية حميدة ترتجى، فهو بحر زاخر بأنواع العلوم والمعارف، مملوء بالجواهر والدرر، يعطي من فيضه للجميع دون أن ينضب معينه، ولا تنتهي وجوه إعجازه ولا تنقضي عجائبه، وإن ما يلفت الانتباه في الخطاب القرآني هو سلوكه مسلك البيان بالاعتماد على أسلوب الحوار، حيث يكثر حضوره في كتاب الله عز وجل بشكل عام وفي سورة الأعراف بشكل خاص، فقد عرضت هذه السورة لمختلف الحوارات الواردة في القرآن بشكل تفصيلي، وكأنها تصوير لقصة الحياة من بداية الخلق إلى نهايته، وبما أن للخطاب الحواري في القرآن الكريم أسسا ومرتكزات ينبني عليها، ومن تلك الأسس والمرتكزات قيامه على البلاغة والبيان المعجزين بشكل فريد، هذا الإعجاز والتفرد اللغوي البياني قد يطرح بعض الإشكالات والالتباسات في الفهم، وقد تم اختيار سورة الأعراف باعتبارها جامعة لمعظم الخطابات الحوارية في القرآن الكريم بشكل مفصل، وهذا المقال يستمد مشروعيته وضرورته من كونه يعالج علاقة البيان الحواري بالإعجاز اللغوي والبياني، ويزيل ما قد يعترض البعض في إشكالية فهم الخطاب الحواري اللغوية، فهو بحث يجمع بين البيان الحواري والإعجاز اللغوي البياني.

أهمية الموضوع

ولعل الموضوع يستمد مشروعيته وضرورته من كونه يعالج علاقة البيان الحواري بالإعجاز اللغوي والبياني في فهم الخطاب الحواري اللغوي، فهو بحث يجمع بين البيان الحواري والإعجاز اللغوي.

فرضية الموضوع

إن تحقيق الخطاب الحواري في القرآن الكريم كان وفق دعامات وأسس ومرتكزات جعلته خطابا معجزا، وكذلك وفق بناء لغوي متين يشكل أحد أهم أسسه ومرتكزاته، وإن عدم الإلمام بهذه الدعامات اللغوية قد يطرح إشكالا لغويا في معرفة الغاية من الخطاب القرآني المتضمن في البيان الحواري.

الإشكالية

إن الإشكالية مرتبطة بأسلوب ولغة الحوار في القرآن الكريم، حيث نجد أنه يمكن أن تطرح بعض الإشكالات في فهم هذا الخطاب المعجز، ومنه فإن الإشكالية هي: ما طبيعة الإشكال اللغوي الوارد في البيان الحواري للقرآن الكريم؟ ومن هذه الإشكالية الرئيسة تفرعت إشكاليات مرتبطة بها منها: هل ثمة علاقة بين البناء الحواري ودلالاته اللغوية؟ وهل في النص الحواري بناء لغوي مشكل؟ وهل ثمة علاقة بين الإشكال اللغوي للبيان الحواري وإعجاز الخطاب القرآني؟ وما هي المقاربة الممكنة لحل هذا الإشكال اللغوي والبيان الحواري؟.

المنهج المعتمد

يعد الاستقراء والوصف والتحليل وتوضيح خصائص النظم القرآني وجماليته منهجا من المناهج التي تم الاتكاء عليها في هذا المقال، إذ إن توظيف المنهج الوصفي التحليلي يساعد على فهم مكونات السورة، والكشف عن الظواهر اللغوية المتفردة في البيان الحواري، والأسرار الجمالية لبعض ألفاظه وصيغه، وروعة تجلياته وصوره البيانية والبديعية، وكذلك خصائصه الإعجازية المميزة له.

المبحث الأول: البيان الحواري وإشكاله البلاغي

سيعرض هذا المبحث بعضا من آيات سورة الأعراف التي جاء فيها الخطاب الرباني على شكل حوارات، وسيقف هذا المبحث على بعض الإشكالات البلاغية المرتبطة بعلم البيان، حيث إنه سيتم الوقوف عند دلالات الحوار المتحققة بطريق التشبيه والاستعارة والمجاز، وسيتم تحديد الدلالات التي تحققت بفعل هذه الظواهر البيانية، وما يمكن أن يأتي من فهم مشكل عند المتلقي في تأويل هذه الأساليب البيانية.

المطلب الأول: التشبيه:

الهدف من هذا المطلب هو الوقوف عند الآيتين 138 و187 من سورة الأعراف، وتحديد التشبيه الوارد فيهما، وشرح دلالاته وإزالة ما يمكن أن يكون التباسا في تأويله.

1- التشبيه الوارد في الآية 138:

ورد التشبيه في السورة كثيرا لكن في آيات البيان الحواري للسورة لم يرد إلا في آيتين، إلا أننا يجب أن نعتبر أن الاستعارات الواردة ضمن آيات الحوار الواردة في السورة تشكل إحدى علاقات التشبيه، وأما بخصوص آيتي التشبيه الحواري فهي كما في الآية الكريمة:

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} الأعراف 138

وكذلك في الآية الكريمة:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} الأعراف 187

وبخصوص الدلالات اللغوية للتشبيه فإننا سنحاول الوقوف عند ما ورد في تفسيرات المفسرين بخصوص هذه الآيات التي جاء فيها التشبيه وبعض جمالياته.

إن من بعض دلالات الجمل الواردة في التشبيه الأول، نجد : (أتوا على قوم) فإنها تشمل معان عدة ولكن معنى أتوا قوما هنا مروا على "لأنهم لم يقصدوا الإقامة في القوم، ولكنهم لقوهم في طريقهم"[1].

أما بخصوص الأصنام التي كانوا يعبدونها فهي صور البقر، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ثم اتخذتم العجل من بعده في سورة البقرة، و"ذلك أول شأن العجل"[2].

والعكوف في الآية فيه دلالة على الملازمة، وفي التعدية بحرف الجر على معنى من، بمعنى "النزول وتمكنه كقوله قالوا لن نبرح عليه عاكفين"[3]، وإن في تذكير الأصنام في هذه الآية دلالة على التحقير وإخفاء المعرفة وجعلها مجهولة، والتشبيه في الآية كما لهم آلهة "أرادوا به حض موسى على إجابة سؤالهم ابتهاجا بما رأوا من حال القوم الذين حلوا بين ظهرانيهم، وكفى بالأمر خسة عقول أن تعد القبيح حسنا، وأن تتخذ المظاهر المزينة قدوة لها، وأن تنخلع عن كمالها في إتباع نقائص غيرها"[4].

وأما كاف التشبيه فيجوز أن تكون صلة وتوكيدا كافة عمل حرف التشبيه، ولذلك "صار كاف التشبيه داخلا على جملة لا على مفرد"[5].

وقد كان جواب موسى عليه السلام عن هذا في محاورته بعنف حينما وصفهم بالجهل وهو المناسب لحالهم.

وبخصوص هذا التشبيه فإن الزمخشري حاول إزالة إشكاله بقوله و(ما) كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها، إذن يزول الإشكال اللغوي لهذا التشبيه الوارد في هذه المحاورة، باعتبار أن هذا الشكل اللغوي يخرج معنى الآية عن التشبيه، إلى دلالات أخرى، هي:

- الحنين منهم "إلى ما ألفوه في مصر من عبادة المصريين وتماثيلها وأنصابها وقبورها"[6]

- أنهم لم يفهموا التوحيد الذي جاء به موسى كما فهم من آمن منهم من سحرة المصريين

- الدلالة على الضعف البشري في كل زمان ومكان وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن ما يطلبه بعض قومه منه شبيه بطلب قوم موسى.

2- التشبيه الوارد في الآية 187:

أما بخصوص الآية الثانية:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} الأعراف 187

ما يخص هذه الآية هو كثرة الظواهر البلاغية البيانية فيها من استعارة ومجاز عقلي وكناية، ولكن ما يهمنا من هذه الآية هو ظاهرة التشبيه.

ففي هذه الآية شبه حاله عندهم صلى الله عليهم وسلم بحال الباحث المعني بها، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يسأل عن الساعة كثيرا، ولا يبالغ في البحث عنها، وكأنه عالم عارف بها رغم أن المكذبين المعاندين يكثرون من السؤال عنها، وهذه من جماليات المحاور حينما لا يبالغ في الحديث عن أمر كثر السؤال عنه، واعتبر من البدهيات، إذ لا يحتاج إلى كثرة التفصيل والمبالغة في البحث عنه، لأنه أمر معلوم و يقين، ثم إن وقتها لا يعلمه إلا الله فهو "لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده، إذا جاء بها في وقتها بغتة"[7]، وكأنك حفي عنها: "كأنك عالم بها، وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن[8]".

الإشكال المطروح في هذا التشبيه هو كونه يجمع مجموعة من الصور البيانية ولكننا سنحاول الوقوف عند هذه الصورة كأنك حفي بها، فالحفي "كناية عن العالم بالشيء لأن كثرة السؤال تقتضي حصول العلم بالمسؤول عنه"[9]، كما يجوز أن يكون هذا الوجه الشبهي مستعملا في صريح المعنى ويكون بذلك "تهكما بالمشركين"[10].

إن هذا التشبيه إذن وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ذلك أنه يتضمن مجموعة من الصور البيانية في آية واحدة، مما يثبت خصوصية الكلام الإلهي وتميزه عن الكلام البشري، إذ أنه يصعب على الباحث في إعجاز القرآن الكريم أن يحدد المكون البلاغي الذي تحسب إليه هذه الآية هل إلى التشبيه، أم إلى الاستعارة، أم إلى الكناية، أم إلى المجاز العقلي، وهذا إشكال لغوي يطرح ويجعلنا نقر بأن كلام الله فوق كل الكلام البشري جمالا وبلاغة وأسلوبا.

المطلب الثاني: الاستعارة:

يحاول هذا المطلب تحديد بعض الاستعارات الواردة في آيات الحوار من سورة الأعراف، وتأويل ما ورد من دلالة عن طريق الاستعارة بالاستعانة بما جاء في كتب المفسرين، لأن تأويل الاستعارة على حقيقتها يطرح إشكالا في فهم الخطاب الرباني.

1- الاستعارة الواردة في الآية 16:

يصعب حصر الاستعارات الموجودة في الحوارات الواردة في سورة الأعراف، لكننا سنحاول الوقوف عند بعضها وتحليلها وذكر جماليتها وإفادتها في البيان الحواري للسورة، ومن أمثلة تلك الاستعارات نجد الآية:

{ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} الأعراف 16

إن إبليس اللعين قد أحس بأنه سيكون ممسوخا وبأن ما سيصدر عنه هو الضلال والفساد، وسيدعو إلى الضلال والكفر، بل إنها جبلة فيه لا يمكن اعتبارها مجرد نزوة أو محطة، بل إنها تشبه نهش الحية وتحرك جفن العين كلما مر بجانبها شيء، وما يزيد التأكيد على ذلك في الآية الكريمة هو توظيفه لام القسم في فعل لأقعدن لتأكيد هول الفعل الذي عزم على تحقيقه، وفي الآية تقديم المتعلق على القسم وذلك للاهتمام وجعله

أولى في الهدف، ثم في جملة لآتينهم المصحوبة بـ "ثم" للدلالة على الترتيب الرتبي هدفها هو "التدرج في الأخبار إلى خبر أهم لأن مضمون الجملة المعطوفة أوقع في غرض الكلام من مضمون الجملة المعطوف عليها، لأن الجملة الأولى أفادت الترصد للبشر بالإغواء والجملة المعطوفة أفادت التهجم عليهم بشتى الوسائل"[11].

والاستعارة حصلت حسب الطاهر بن عاشور في هذا المجاز التمثيلي حيث إنه "ليست الجهات الأربع المذكورة في الآية بحقيقة ولكنها مجاز تمثيلي بما هو متعارف في محاولة الناس ومخاتلتهم "[12].

ولذلك لم تذكر الآية الإتيان من فوقهم ومن تحتهم، إذ ليس ذلك من شأن الناس في المخاتلة والمهاجمة، وذكر هذه الوجوه الأربعة "الغرض منه أن يبالغ في إلقاء الوسوسة ولا يتصرف في وجه من الوجوه الممكنة البتة"[13].

إن الإشكال اللغوي الذي تطرحه الآية هو الإتيان من الوجوه الأربعة، ولكن الاستعارة أزالت هذه الشبهة اللغوية بالإشارة إلى أن المعنى مجاز وغير حقيقة.

ويمكن اعتبار هذه الاستعارة كناية "عن وسوسته وإغوائه له والجد في إضلاله من كل وجه ممكن، ولما كانت هذه الجهات يأتي منها العدو غالبا ذكرها لأنه يأتي من الجهات الأربع حقيقة"[14]، فأبو حيان التوحيدي بغض النظر عن كون الآية استعارة وكناية يؤكد أن الإتيان من الجهات الأربع هو حقيقة، وبهذا قد يزول ما يطرح من إشكال لغوي.

وقد تحدث العلماء والمفسرون كثيرا عن الأسباب التي جعلت الآية لم تذكر الفوق والتحت، وقد قال صاحب البحر المحيط "لم يحتج إلى ذكر العلو والسفل لأن هاتين الجهتين ليستا بمقر شيء من القوى المفسدة لمصالح السعادة الروحانية"[15].

وقد ذكر كذلك أن سبب ذلك هو كون رحمة الله تنزل من فوقهم وعدم ذكر إتيان الشيطان من تحتهم لأن ذكره فيه توحش.

2- الاستعارة الواردة في الآية 78:

ومن الاستعارات كذلك الواردة في السورة:

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الأعراف 78

إن الله سبحانه وتعالى جعل الناقة حجة وبرهانا على صدق نبوة صالح عليه السلام، وتلك الآية تبين لهم حقيقة ما جاء به وكونه رسولا من الله إليهم، وبينته على أن ما يقوله حقيقة من خلال هذه الناقة المعجزة التي تعلم القوم أن ذلك لا يقدر على مثله أحد إلا الله، ثم إنهم "سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله"[16]، فأعطاه الله هذه الآية فهي "آية مقنعة لكم و مجعولة لأجلكم "[17]، وهي مشرفة عند الله لأنها مقترنة ومضافة إلى اسم الله،

لذلك عظم حرمتها، والأخذ في الآية وقعت فيه الاستعارة لأنها دلت على الأخذ الكامل، إذ لن ينجو أحد من هذا الذي يمكن أن يمس الناقة من سوء، وأصل "الأخذ تناول الشيء باليد، ويستعمل مجازا في ملك الشيء بعلاقة اللزوم ويستعمل أيضا في القهر"[18].

وكذلك: "الأخذ مجاز في التناول والإصابة بالمكروه الذي لا يستطيع دفعه"[19].

ومعنى أخذ الرجفة و إهلاكه إياهم، وكون هذا الإهلاك محيطا بهم إحاطة الأخذ.

وكونهم جاثمين كناية عن الموت.

إذن بالاستعارة زال الإشكال اللغوي الذي يطرحه هذا الموقف الحواري في السورة، حيث إن فهم الأخذ على حقيقته قد يطرح إشكالات حول طريقته وكيفيته والحال التي نزل بها سبحانه وتعالى لأخذهم، وهل يكون الأمر باليد أم بإرساله من يأخذهم، لكن الفهم عن طريق مجاز الاستعارة اللغوي يزيل هذا الإشكال.

فالأخذ مجاز في القهر والغلبة، ويمكن أن يكون "مجازا في الإصابة بالشدائد، لأن حقيقة الأخذ تناول الشيء باليد، وتعددت إطلاقاته فأطلق كناية عن الملك"[20].

إذن فمعانيه مجازية لا حقيقية، وبهذا يزول الإشكال رغم كونه يضيف إشكال تصنيف الشكل اللغوي الذي ينتمي إليه.

3- الاستعارة الواردة في الآية 139:

ومن الاستعارات الكثيرة الواردة في حوارات السورة نقف عند هذه الاستعارة الدقيقة في التصوير:

{إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} الأعراف 139

إن جهل القوم الذين سألوا موسى أن يجعل لهم إلاها كما رأوا الأقوام الأخرى تعبد آلهة غير الله، جعله ينعتهم في جوابه بعنف حين وصفهم بالقوم الجاهلين، وذلك هو المناسب لحالهم نظرا لجهلهم في طلب هذا، لأنهم رأوا الآيات وأيقنوا بقدرة الله وأحقيته في العبادة، ورغم ذلك يحبون أن تجعل لهم آلهة، و"العبادة غاية التعظيم فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام"[21].

والجهالة هي انتفاء العلم، وهو الشيء على خلاف حقيقته، وهو ما جعل موسى يصفهم بها، وتعد صفة راسخة في نفوسهم،، ولهذا فإن جملة " إن هؤلاء متبر ما هم فيه" تعليل وتوضيح للجملة التي أكد فيها موسى جهل قومه، و"التبار بفتح التاء الهلاك "[22]، وهذا التعليل يؤكد بطلان عملهم، وفي تقديم متبر على ما هم فيه تخصيص لما هم فيه ولحالهم، والتتبير هنا جاء مستعارا للدلالة على هذا الحال: "والتتبير مستعار هنا لفساد الحال"[23]، وقد جاء على صيغة اسم المفعول، وهو ما يفيد لغويا أنه وصف ملازم لحقيقة الموصوف به، خاصة في زمن طلبهم وحالهم وقت رغبتهم في حصول آلهة لهم يعبدونها غير الله، وكأنهم بذلك يعيدون موسى إلى حيث بدأ رغم وقوع الأدلة والحجج المؤكدة لصدق نبوته، فمتبر تحل الإشكال اللغوي الذي قد يطرح بكونها

مستعملة بشكل مستعار للدلالة على سوء العاقبة وفساد الحال، حيث: "شبه حالهم المزخرف ظاهره بحال الشيء البهيج الآيل إلى الدمار والكسر فيكون اسم المفعول مجازا في الاستقبال "[24].

وزيادة في تأكيد ذلك قدم "باطل" على المسند إليه، وذلك ليفيد المبالغة في الإنكار والتوبيخ.

يظهر من خلال ما سبق أن الاستعارة قد تطرح إشكالا لغويا إذا لم يتم التمييز في فهم استعمال العبارات اللغوية، بين الاستعمال على وجه الحقيقة وبين الاستعمال على وجه المجاز، فالعبارات الواردة في آيات الحوار تدل على معان باستعمالها في موقف تواصلي غير دلالتها بلفظها، أي أن الاستعمال يحكم بوجود معنى مستلزم.

المطلب الثالث: المجاز:

يعد المجاز كذلك من الظواهر البيانية التي وردت بشكل كبير في حوارات سورة الأعراف، وتأويله على غير المجاز كذلك يطرح بعض الإشكال، لذلك يسعى هذا المطلب كذلك إلى تأويل الإشكال بهدف إزالة ما قد يعترض الفهم من غموض.

1- المجاز الوارد في الآية 37:

يكثر المجاز في الآيات الحوارية الموجودة في سورة الأعراف، ويظهر ذلك من خلال توظيف عبارات وجمل يصعب تأويلها على حقيقتها، كما يقتضي وجود معنى مجازي يجعل المتأمل يقف عاجزا أمام هذا المعنى الجمالي المعجز دلالة ولفظا أثناء توظيفه في السياق الحواري للقرآن الكريم، ونظرا لما للمجاز من حضور بارز في حوارات السورة، فإننا سنحاول الوقوف عند نماذج قليلة فقط من أجل الوقوف عند دلالاتها وتحديد وظيفتها، ودورها في البيان الحواري، ومن آيات المجاز نجد:

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ} الأعراف 37.

ففي هذه الآية أطلقت الشهادة وأريد الاعتراف الذي جاء على لسانهم، بكونهم ظالمين، وكذلك للتعبير عن ندمهم وتحسرهم لعلاقة المسببية "وشهدوا على أنفسهم أي اعتراف على أنفسهم، وليس في النظم ما يدل على أن اعترافهم كان بلفظ الشهادة، فالشهادة مجاز عن الاعتراف أنهم كانوا في الدنيا كافرين"[25].

وفي الدلالة اللغوية بفعل الإشهاد في محاورتهم تحسر واعتراف بخيبتهم وخسرانهم، فإذا كان النظم يذكر فعل "اعترفوا" بدل الفعل "شهدوا" لكان المعنى اللغوي غير واف بالغرض وبمدلول حالهم حقيقة، لأن الإشهاد زيادة تأكيد واعتراف نابع من حقيقة مطلقة هي ندمهم وخيبتهم وحسرتهم على موقفهم الذي تبنوه من قبل فتبين لهم خسرانه.

إن المقصود في هذا المجاز في الآية هو "زجر الكفار عن الكفر لأن التهويل بذكر هذه الأحوال مما يعمل العاقل على المبالغة في النظر والاستدلال والتشدد في الاحتراز عن التقليد"[26].

2- المجاز الوارد في الآية 44:

من آيات المجاز كذلك في الحوار الوارد في السورة:

{ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} الأعراف 44.

فالاستفهام هنا أطلق حقيقة وأريد به تحسيرهم، وتنديمهم على موقفهم، وتوقيفهم على غلطهم لوجود علاقة لزوم، والسؤال هنا من المجاز المرسل، والخطاب في هذه الآية نداء من أصحاب الجنة إلى أصحاب النار، وقد عبر به : "كناية عن بلوغه إلى أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد"[27]، وجملة الاستفهام "فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا "مستعملة مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم في توقيف المخاطبين على غلطهم، وإثارة ندامتهم وغمهم على ما فرط منهم، والشماتة بهم في عواقب عنادهم"[28]، ويذكر كذلك المفسرون أن المعاني المجازية متعددة وقرينتها أن أصحاب الجنة على معرفة وعلم تام أن أصحاب النار لقوا وعده حقا : ومن ذلك فإن فعل "الوجدان" كذلك قد يكون مستعملا في الإدراك والظن مجازا، وهو من المجازات الشائعة.

إن هذه المجازات الواردة في هذه الآية جاءت على شكل رائع ومعجز زاده جمالا وإعجازا الإيجاز البديع في: "هل وجدتم ما وعد ربكم"، و"قد وجدنا ما وعدنا ربنا"، "ثم إن الجواب تحقق بفعل نعم، وقد يحتمل ذلك الجواب، تحقيق ما أريد بالسؤال من المعاني حقيقة أو مجازا، إذ ليست نعم خاصة بتحقيق المعاني الحقيقية"[29] .

وقد شبه صاحب مفاتيح الغيب هذه المحاورة التي دارت بين الفريقين بالمناظرة "التي تدور بن الفريقين وهي الأحوال التي ذكرها في هذه الآية"[30]، ولما تعلق الأمر بذكر الأحوال فإن التصوير الفني اقتضى توظيف الصور البيانية المختلفة لتبيين هذه الأحوال من كنايات وتشبيهات ومجازات.

إن فهم ألفاظ الآية على حقيقتها قد يطرح عدة إشكالات لغوية، ولكن إذا ما تأملنا الألفاظ بمعانيها المجازية المحتملة تتضح الصورة جيدا، ويظهر أن الإشكال اللغوي يزول، وهذا هو ما جعل الأوائل يبحثون عن سر إعجاز القرآن الكريم، ومحاولة كشفهم غياب التناقض فيه، وأنه خاطب الأمة بلغتها ولسانها وبمعهودها، لكنه فاقها فصاحة وبلاغة.

3- المجاز الوارد في الآية 20:

ومن المجاز العقلي الوارد في حوارات السورة نجد:

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} الأعراف 20.

"إن الشيطان وسوس إلى ابني آدم بإلقائه إليهما تسويلا خفيا من كلام، وأتاهما في ثوب الناصح المخافت في الكلام، فبدت السوآت من ابني آدم وظهرت، والإبداء يطلق مجازا على معرفة الشيء بعد جهله"[31]، وقد أسند إبداء السوآت "إلى الشيطان لأنه المتسبب فيه على طريقة المجاز العقلي"[32].

والمواراة كذلك تطلق مجازا لأنها "هي التغطية والإخفاء، وتطلق مجازا على صرف المرء عن علم شيء بالكتمان أو التلبيس"[33].

والسوأة كذلك يجوز أن يكني بها عن العورة، "السوأة فرج الرجل والمرأة وذلك لأن ظهوره يسوء الإنسان"[34].

فالآية إذن، من المجاز العقلي الذي يفيد صورة فنية جمالية وبيانية غايتها ترسيخ المعنى وتثبيته، وتحقيق الدلالة بشكل فني جميل وقالب لغوي معجز.

4- المجاز الوارد في الآية 148:

ومن المجاز العقلي كذلك:

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ} الأعراف 148

وإن لم ترد في سياق حوارات السورة إلا أنها إخبار بمحاورة بين موسى عليه السلام وقومه، قامت على حجاج وبراهين متنوعة قصد توبيخ القوم وتأنيبهم على فعلتهم الشنيعة، وقد نسب "الاتخاذ إلى قوم موسى كلهم على طريقة المجاز العقلي، لأنهم الآمرون باتخاذه والحريصون عليه، وهذا مجاز شائع في كلام العرب"[35]، والمعنى أنهم لم يتخذوا العجل ولكن صورة العجل، والجسد المراد هنا هو لجسم العجل، والغريب فيه هو أنه يصدر صوتا كالخوار، لذلك رأى فيه بنو إسرائيل عجلا وهو ليس عجلا البتة، بل صورة له، ولكنهم جعلوه "جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد"[36].

فالشاهد اللغوي هنا هو الاتخاذ، والله نسب الفعل إليهم والفاعل واحد، لكن عن طريق المعنى المجازي يظهر أنه يقصد به "أنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم اجتمعوا عليه "[37]، فبطريق المجاز العقلي يزول ما قد يطرح من إشكال لغوي.

إننا نجزم جزما قاطعا، من خلال بحثنا في بعض الحوارات التي تضمنت علم البيان، أن ما يمكن أن نسميه إشكالا لغويا يزول بمجرد الإيمان بأن الله خاطب الناس بمعهودهم، ووفق لسانهم وعادتهم وتقليدهم في الفن والقول، وأنه خاطبهم بما يعرفون من مجازات ونقل لغوي، وبذلك نقول بشكل قاطع: البيان الحواري في سورة الأعراف معجز ويفوق إعجازه كل الخطابات البشرية التي تعرفها محاورات الفلاسفة والعباقرة، التي قرأناها

وسمعنا عنها عند اليونان وغيرهم، وتحترم شروط المحاورة وآدابها التي تحدث عنها علماء الغرب، وأفردوا لها تصانيف ومجلدات، إذ يكفي أن نقول ما عليهم سوى الرجوع إلى كتاب الله عز وجل لاستخلاص النظم والقوانين الحقة في التخاطب والتحاور البشري.

المبحث الثاني: مرتكزات فهم التباس البيان الحواري في القرآن الكريم

هذا المبحث يعرض لبعض الأسس والمرتكزات التي يجب مراعاتها في تأويل البيان الحواري في سورة الأعراف، وهي أساسيات تزيل ذلك الذي سميناه إشكالا لغويا وبيانيا في الفهم.

المطلب الأول: استيعاب نظم القرآن الكريم واللسان العربي والقدرة على التأويل:

إن البيان في القرآن الكريم يعتمد على خرقه للعادة في الأسلوب والبلاغة، والخروج عن المألوف من القول بجمعه بين البلاغة المبينة والإعجاز، وهذا الخروج أو الإعجاز البياني اللغوي هو الذي يطرح إشكالات لغوية متنوعة ومتشعبة قد تجعل المرء يزول – أثناء قراءته وفهمه للنص القرآني– عن قصديته ومقصده الأسمى، ومن أجل إزالة هذا لا بد من مراعاة الأمور الآتية أثناء التفسير:

1– فهم نظمه وتناسبه:

إن ما يطرح إشكالات لغوية في هذا البيان القرآني هو سوء فهم نظم القرآن وعدم إدراك التناسب بين أجزائه من حيث تكوينه الخاص ومن حيث مواده الخاصة، فوقوع الخلل في فهم وجه هذا النظم والتناسب يفسد النظام ويشكل الفهم، فالقرآن الكريم ترابطت أجزاؤه وتماسكت كلماته، وترتبت صوره وأحكمت آياته والتحمت جمله وعباراته وفق نظم بديع وصل مبلغا لا يدانيه فيه كلام، لذلك ينبغي فهمه وفق هذا التركيب المتفرد لنظامه و تأليفه اللغوي، والذي إنما وجد للإفادة والإفهام، أي أنه يبلغ أغراض المتكلم للمستمع، ذلك أنه آلة للتبليغ وهذه غايته القصوى، وللخروج مما يمكن أن يظنه البعض إشكالا لغويا لا بد من إدراك خصوصية النص القرآني وميزته في النظم والتركيب، لذلك يتعين التركيز في فهم نظم القرآن إدراك تميز جمله التي تحتوي على ألفاظ متناسقة على ترتيب خاص، ومعان مقابلة لها ودالة عليها، وكذلك الإدراك بأن المعنى لا يتحقق إلا من خلال معرفة العلاقة بين اللفظ والمعنى حيث إنه يوجد تناسق دلالي وتلاق معنوي على الوجه الذي يقتضيه العقل، وإن أي تفسير خارج عن استيعاب النظم القرآني يطرح الإشكال اللغوي.

2– الاستيعاب الجيد للسان العربي ومعهوده في القول:

إن ما يميز لسان العرب هو تميزه واتساعه وكثرة ألفاظه، حيث إنه يصعب استيعابه كليا والإحاطة به، لذلك إن إدراك معهود العرب في القول وسنتهم في التخاطب كفيل بحل ما قد يجده المرء من إشكال لغوي، يقول

الإمام الشافعي في الرسالة: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرهم ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي"[38].

لذلك فإن تفسير الخطاب القرآني يكون باستثمار منطوقه لأجل استدرار معانيه من نظمه ومفهومه ومعقوله وذلك له طريق مخصوص، وهو كونه جاء موصولا في ألفاظه ومعانيه بما تعرفه العرب من طرق بيان درجت عليها وملابسات خطاب، وتفسيره قاصر إذا لم يفهم المفسر طرائق العرب في الخطاب ومقاصدها في كلامها وأساليبها في معانيها.

إن مقاربة النص القرآني وتفسيره ينبغي أن توافق معهود التخاطب بين المتكلمين وأعرافهم وعاداتهم المطردة، فالمفسر ينبغي أن يكون أعرف بالمتكلم وقصده وبيانه، وعاداته أما إن كان جاهلا بتنوع واتساع لسان العرب في التخاطب وتداخل معانيه خلط وأشكل في فهم خطاب الله تعالى.

من هنا نقول إنه يجب مراعاة العناصر الآتية أثناء تفسير القرآن الكريم:

- تفسير حقيقة الألفاظ المفردة التي نزل بها القرآن الكريم حسب مفهومها وتداولها عصر النزول، لأن اللفظ المنزل قد يعتريه إسقاط دلالي في الحاضر لا يدل على معناه في الماضي.

- تفسير الأساليب التي عهدها العرب وقت النزول بما في ذلك المعرفة بالصحراء والقيعان والسحاب والغمام والنجوم وغيرها مما كان يحيط بالعربي من محيط وبيئة.

- العلم بأحوال البشر وقت النزول.

3- التوفيق بين العقل والنقل في الفهم:

إن علم تفسير القرآن الكريم يأتي من تنوع التأويلات للمضمون اللغوي للقرآن، والتفسير إنما يتطلب إخضاع التأويلات لمجموعة من المتغيرات أهمها:

- المجال المعرفي الخاص الذي يحدد أهداف التأويل وطرقه، إذ أن تعدد الأهداف وتباين الطرق في التأويل قد يخلق إشكالا في تفهم النصوص.

- طبيعة وماهية العلم الذي يؤول النص الشرعي، لأنه نص يتميز بخصوصية في عملية تأويله وتفسيره إذ لا بد من استحضار مجموعة من العلوم الشرعية في عملية التأويل لاستنباط مقاصده.

إن التأويل في فهم القرآن الكريم مرتبط بقيود خاصة توافق بين العقل والنقل بحيث لا تناقض ولا تعارض في الفهم ووفق أصول ثابتة متفقة مع العقيدة.

إننا نقول إن تفسير القرآن الكريم ينبغي أن يقوم على حركة ذهنية أو عقلية وفق أبعاد دلالية أعمق للنص القرآني وباستعمال الأدوات العلمية (اللغة وعلوم القرآن) لاستنطاقه وإزالة إشكاله بحيث لا يظهر تعارض في الفهم بالدليل العقلي والنقلي إذ أن صحة الأدلة النقلية موقوفة على صحة البرهان العقلي.

المطلب الثاني: معرفة الإعجاز والمجاز والعلم بالدلالة والقصدية:

الخطاب الرباني خطاب معجز فمنذ نزول القرآن الكريم انكب العلماء على تحديد وجوه الإعجاز فيه بين ما هو لغوي وبين ما يحمله من غيبيات وأخبار والأولين وما يشير إليه من حقائق علمية وبين الطريقة الفريدة التي انتظم بها هذا الخطاب، ولذلك فإن الباحث في تفسير القرآن الكريم لابد أن يضع هذا المعطى أثناء التحليل، كما يجب عليه أن يحيط بالمقاصد الربانية التي جاء من أجلها هذا الدين الإسلامي الحنيف، إلى جانب المعرفة الجيدة بعلم الدلالة والمجاز القرآني والاعتراف بوجوده في الخطاب الرباني، ومنه فإن المفسر لابد كذلك من أن يكون ممتلكا للأمور الآتية:

1- الإقرار بوجود المجاز:

إن الجهل بوجود المجاز أو إنكاره هو إنكار وجهل بشطر الحسن في القرآن الكريم، فالعلم بالمجاز هو علم بالجمال البياني اللغوي في كتاب الله، والانزلاقات التي تحدث في تفسير النص القرآني ناتجة عن غياب الإحساس بهذا الجمال اللغوي في البيان وبجمال العبارة وطراوتها، فالمجاز هو مدار الاستقامة البيانية وقطب رحاها، بل إنه يعد حاجة ملحة للمفسر في تفسيره وأداة لحفظ الدين، ذلك أن التوجس من المجاز في التأويل قد يوقع في الإشكال ويبتعد عن كشف الحقيقة العقدية والبيانية لهذا الدين القائم شريعته على الفهم والإفهام.

إننا نؤكد على أن أي تفسير للقرآن الكريم يحتاج إلى ضبط معالم المجاز وضروبه ورسومه من أجل بلوغ أسرار العبارة وإزالة إشكالها وتخليصها من لبس الخرافة والتلبيس، فإنكار المجاز يزور حقائق النص القرآني ويعتدي على نسيجه ويطمس جماليته وبيانه.

فإذا كان للمنكرين حججهم وأدلتهم التي يدعون بها صدق موقفهم ومنها عدم إدراك المتلقين كلهم للمجاز وكيفية استخلاصه، فإننا نقول بأن الخطاب القرآني راعى مستويات المتلقين وأفهامهم الحسية في مجازه، فالكل يفهمه حسب مقدرته على الفهم والتأويل، ثم إنه وافق بلاغتهم في التخاطب والتواصل، لذلك تعد البلاغة وسيلة للكشف الأسلوبي وأداة وظيفية لإدراك خفايا النص وكنهه، وإن تجاوز البلاغة في فهم النص منبع الإشكال لأن ذلك اعتداء على حرمة النص الشرعي وشرفه[39].

وإذا كنا قد قلنا بضرورة إقرار المجاز فإننا نؤكد أن منكريه كان لهم جانب من الخوف على تشويه معاني النص الشرعي حال المبالغة في المجاز لأن ذلك يبعده عن المقاصد، فإذا ربطت الحقيقة بالخيال قلبت الموازين

واعوج الفهم وحيد عن الطريق المستقيم فللمجاز شروط ومواضع لا يكون إلا فيها، ثم إن التعبير بالحقيقة أولى، فأما المجاز فلا يحضر إلا إذا كان التعبير به أبلغ من الحقيقة.

2- قصدية الدلالة في النص القرآني:

إن النص القرآني نص قصدي، ولإدراك قصديته لا بد من الاستعانة بالنظم اللغوي الفريد الذي يحمل بين ثناياه خطابا واضحا لا إشكال فيه يحول دون وصول القصد، وهذا الخلل الذي قد يحدث فإنما ينتج عن أزمة لدى المتلقي في فهم النظام اللغوي، فالمخاطب في القرآن الكريم يعي جيدا تكوين النظام اللغوي للغته ويمتلك خاصية الخطاب المتجسدة في اللغة وآلياتها، وعالم بطرق التعبير والتأويل حسب مقتضيات البلاغة والبناء الناظم للغته ومدرك لمقصد محاوره ومتفهما لروح الفكرة المتضمنة.

إننا نؤكد على أن تفسير الخطاب القرآني دونما إدراك لقصديته ناقص، ولتجاوز هذا العائق ندعو للالتفات إلى المفردات والألفاظ والمصطلحات باعتبارها مدخلا لفهم المقاصد، لأنها مهمة في تحقيق فهم معاني القرآن فهي زبدة كلام العرب ولبه، عليها اعتمد الحكماء والفقهاء في استنباط الحكم والأحكام.

إن قصدية لغة القرآن الكريم تعني أن الألفاظ وضعت قاصدة ومقصودة في ذاتها وفي موقعها وفي تركيبها وفي ترتيبها، ذلك أن اللفظ في موقع وتركيب معين يعطي معنى وفي ترتيب آخر يكون له معنى مخالف ومغاير، وتفهمه بالمعنى الذي قصد في التركيب الأول للمعنى الثاني هو ما يشكله، فالكلام إنما سره وروحه في إفادته للمعنى، لذلك يجب التزام المتلقي مقاصد النص وطرق بيانه لإبراز المعنى والكشف عنه لأن دلالة الخطاب تابعة لمراد المتكلم وغايته بلفظه، أي أن إدراك الخطاب القرآني الكريم إنما مناطه مرتبط بفهم المدلولات المقصودة وليس بالصور اللفظية المنطوقة.

يجب أن نشير هنا إلى أن إدراك المقاصد والمراد ليس أمرا هينا لأنه مرتبط بجوهر المعنى وسياقات الكلام.

3- إدراك واستيعاب القرائن ومقتضيات الأحوال:

إن إدراك الخطاب القرآني في كليته يتطلب تملك أساليب ووسائل تساعد على تغليب معنى دون غيره، وترجيح دلالة على حساب أخرى من الدلالات المحتملة، وهذا ما عمل به الفقهاء والمفسرون والأصوليون حيث إنهم لم يكتفوا بمجرد التعرف على الدلالات اللغوية وحدها، وإنما راعوا مجموعة القرائن ومقتضيات الأحوال التابعة لقصد المتكلم وإرادته، لذلك فإنهم في تحليلهم للخطاب القرآني نظروا إلى مساقات الكلام اللغوية والمقامية، وكذلك العامة والخاصة والقريبة والبعيدة، و من هنا فإننا نقول بأن أي محاولة لتفسير الخطاب القرآني يجب أن تراعي هذا الباب في فهم بنائه وإزالة التباساته اللغوية المطروحة، فالسياق مبين ومعين على الفهم وقاطع مع الدلالات المحتملة للألفاظ، إذ أن المعنى جزء منعدم في حال تم تغييب المعنى الكلي، وإن لمراعاة القرائن

ومقتضى الأحوال في فهم القرآن دورا يتعدى الدور التفسيري إلى الترجيح وإزالة الإشكال وتأكيد الاحتمال أو إبطاله.

يعد السياق إذن قرينة مؤثرة في الخطاب، وهو يكون مقاليا أو مقاميا، فالمقالي أو اللغوي هو المرتبط أشد الارتباط بالقرينة اللغوية.

وهو مزيل ورافع للغلط لذلك أكد الفقهاء والأصوليون على أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به الإعجاز القرآني وكلام العرب إنما يدور كله على معرفة وفهم مقتضيات الأحوال، فإدراك هذا المقتضى رافع لكل مشكل في فهم الكتاب، أما السياق المقامي فهو المرتبط بالمعنى المراد من الخطاب وهو يشمل كل ما يحيط بالخطاب لإدراك دلالات النص الشرعي والكشف عن معانيه بدقه ووضعها في الإطار الذي جاءت فيه.

إننا نقول بأن تفسير القرآن الكريم إنما مرده إلى تحكيم قواعد اللغة ومراعاة الظروف المحيطة بالنص الشرعي تجنبا للوقوع في الغلط والمغالطة، وقد كان لعلمائنا الأوائل فضل كبير في الكشف عن دور السياق في فهم الخطاب وما يؤكد كلامنا هو أنهم انبهروا وسحروا بجمال أسلوب القرآن وروعة كلماته وإعجاز تعابيره ثم إنهم فهموا مقاصده وغاياته بل حتى من عارضه لم ينعته بالمشكل في الفهم لأنه كان على علم بمسألة القرائن ومقتضى الأحوال، بل وصفه بالحلاوة والطلاوة والسمو والعلو.

4- استحضار الإعجاز القرآني:

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجده في حروفه وكلماته منظوما على مألوف العرب ومعهودهم في القول والبيان، ولكنه يتميز بتفرد وتميز خاص ونظم معجز بنيت عليه هذه التراكيب إلى درجة بهر بها فصحاء وبلغاء العرب لحسن مبادئ آياته ومقاطعه وتماسك كلماته واتساق تراكيبه حتى أعجز أهل الحكم والبلاغات وأخرس الألسن التي تدعي غير ذلك، لذلك فإن تفسير كتاب الله ينبغي أن يرد إلى الإعجاز اللغوي البياني الفريد الذي يقوم على اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير وفق طريقة وأسلوب انفرد به تأليف كلام القرآن جعل العلماء قديما وحديثا يقرون بأن له أسلوبا خاصا مغايرا لأساليب العرب في الكتابة والخطابة والتأليف جعله رائع الأثر خالدا ومتميزا ومتجددا مع العصور.

هذه أهم الأساسيات التي ينبغي الاستعانة بها في تفسير القرآن الكريم لما يمتاز به نظمه الفريد وأسلوبه الجميل والجذاب في التعبير، والباحث في مستويات الدرس اللغوي يجب أن يراعي هذه الخصوصية وهذه اللطائف البلاغية واللغوية والدلالية التي تعتبر من مبتكرات القرآن الكريم وتدخل في باب إعجازه.

خاتمة:

نخلص في خاتمة الموضوع إلى النتائج الآتية:

– الإشكال اللغوي المظنون في الخطاب الحواري القرآني غير وارد، وإنما هو وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في البناء الحواري للقرآن الكريم.

– تنوع وتعدد أشكال البيان الحواري في القرآن الكريم والغاية واحدة وهي إظهار الحق وإثباته.

– الدعوة إلى التوحيد أساس الحوار وقضيته الكبرى.

– ميزة الحوار أنه يقوم على أساس استدلالي لغوي توظف فيه الدلائل المختلفة وفق أسلوب لغوي قوي قوامه الكلمات والروابط اللغوية والصور والأساليب البلاغية.

– الإعجاز الحواري صورة ووجه من وجوه وصور الإعجاز القرآني، حيث تتعدد مظاهر الإعجاز في البيان الحواري للقرآن الكريم وتتجلى في جوانب متعددة منها ما يتعلق بالموضوعات ومنها ما يتعلق بالشكل.

– علم البلاغة يعد أهم أساسيات البناء الحواري في تحقيق التواصل بين المتحاورين.

– اشتمال البيان الحواري في السورة على فوائد عديدة وعبر كثيرة لابد من تأملها والعمل بها أثناء حواراتنا.

– ضرورة العلم بلسان العرب وعاداتهم في طرق القول والبيان لفهم البناء الحواري للقرآن الكريم.

– مساقات الكلام ضرورية لإزالة إشكالات الفهم والتأويل.

– التسلح بعلوم القرآن واللغة لمعرفة مقاصد الخطاب مهمة لتجنب الوقوع في الإشكال.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- محمد الطاهر بن عاشور(1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر- تونس، دون رقم طبعة، 1984م .
- جار الله الزمخشري(538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ .
- أحمد بن مصطفى المراغي(1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ.
- فخر الدين الرازي(606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- أبو حيان الأندلسي(745هـ)، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دون رقم طبعة، 1420هـ.
- محمد بن جرير الطبري(310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م.
- شهاب الدين عبد الله الحسيني الألوسي(1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت، ط 1، 1415هـ.
- محمد بن إدريس الشافعي(204هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، منشورات مكتبة الحلبي مصر، ط1، 1940م.
- ينظر في مقال لعزيز محمد عدمان: البناء النصي للقرآن الكريم بين الوفاء للحقيقة واتساع المعنى، دراسة في إشكالية المجاز عند بديع الزمان النورسي، ورد ضمن مقالات مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، يوليوز 2014، العدد 10.

الهوامش:

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر- تونس، ط1984م ، 80/9.

[2] – جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ 170/2.

[3] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 80/9.

[4] – المرجع نفسه ، 81/9.

[5] – المرجع نفسه، 81/9.

[6] – أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ، 51/9.

[7] – الزمخشري، تفسير الكشاف، 183/2.

[8] – المرجع نفسه، 184/2.

[9] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 204/9.

[10] – المرجع نفسه ، 205/9.

[11] – المرجع نفسه، 49/8.

[12] – المرجع نفسه ، 48/8.

[13] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ ، 215/14.

[14] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 21/5.

[15] – المرجع نفسه، 23/5.

[16] – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م، 12/ 552.

[17] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 318/8.

[18] – المرجع نفسه ، 8/ 337.

[19] – المرجع نفسه، 175/9.

[20] – المرجع نفسه، 63/9.

[21] – – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ، 350/14.

[22] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 82/9.

[23] – المرجع نفسه، 82/9.

[24] – المرجع نفسه، 82/9.

[25] – شهاب الدين عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت، ط 1، 1415هـ، 53/4.

[26]– فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 237/8.

[27] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، 136/8.

[28] – المرجع نفسه، 8/ 136.

[29] – المرجع نفسه ، 137/8.

[30] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 245/14.

[31] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 57/8.

[32] – المرجع نفسه، 57/8.

[33] – المرجع نفسه، 57/8.

[34] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 14/ 218.

[35] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 109/9.

[36] – الزمخشري، تفسير الكشاف، 159/2.

[37] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 378/15.

[38] – محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، منشورات مكتبة الحلبي مصر، ط1، 1940م، ص42.

[39] – ينظر في مقال لعزيز محمد عدمان: البناء النصي للقرآن الكريم بين الوفاء للحقيقة واتساع المعنى، دراسة في إشكالية المجاز عند بديع الزمان النورسي، ورد ضمن مقالات مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، يوليوز 2014، العدد 10، ص13.

Refernces ;

Al-Alusi Sh. a. p. a. a. . (1994). The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Muthani (First Edition). Beirut: Investigated by Ali Abdel Bari Attia.

Al-Maraghi A. B. M. (1985). Interpretation of Al-Maraghi (first edition). Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Library and Printing Company.

Andalusian m. a. h. (1999). Ocean sea in interpretation (without edition number). Beirut: investigation by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr.

Tabari m. B. c. . (2000). Collector's statement in the interpretation of the Qur'an (first edition). Beirut: investigation by Mohamed Shaker, Al-Resala Foundation.

Ibn Ashour m. a. (1984). Editing the correct meaning and enlightening the new mind from the interpretation of the glorious book “Tahrir wa’l-Tanweer” (without a year of printing). Tunisia: The Tunisian Publishing House.
El Shafei m. B. a. . (1940). The Message (first ed.). Egypt: Investigated by Ahmed Shaker, Al-Halabi Library Publications.
Nodman A. M. (2014). The textual structure of the Holy Qur’an between loyalty to the truth and the breadth of meaning, a study in the problematic of metaphor for Badi’ al-Zaman Nursi. Al-Noor Journal for Civilization and Intellectual Studies, 7-36.
Zamakhshari c. a. (1986). Scouting the facts of the mysteries of downloading and the eyes of sayings in the faces of interpretation (first edition). Beirut: Arab Book House.
Al-Razi F. a. (1999). Keys to the Unseen or the Great Interpretation (Third Edition). Beirut: Arab Heritage Revival House.